الملامح اللغويّة
في
قراءة أئمة البقيع عليهم
السلام

أ.د.صالح كاظم عجيل

بسم الله الرحمن الرحيم

القراءات القرآنية منبع من منابع اللغة ومصدر من مصادرها التي لا ينضب ، فهي وجوه صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، استقى اللغويون منها قواعدهم فكانت المصدر الثاني في أدلة الصناعة اللغوية بعد القرآن الكريم ، قسمت على متواترة وصحيحة وشاذة ووُضعت لها أركان اتفق عليها علماء القراءات في ضوئها تحدد نوع القراءة ، ومن ثمَّ جواز القراءة بها أم لا .

كُتبت دراسات كثيرة في قراءات القرّاء المشهورين من جوانب مختلفة ، ولا سيما الظواهر اللغوية والنحوية ، وكان آل البيت من جملة القرّاء الأوائل الذين اخذ عنهم الناس واتصلت بهم قراءات بعض القرّاء السبعة ومع ذلك نجد أن قراءاتهم تصنّف في ضمن القراءات الشاذة التي تفتقر إلى ركن أو اثنين من أركان القراءات المقبولة ، فبدا لي أن أسلط الضوء على قراءات أئمة البقيع: **الحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق** -عليهم السلام- وارصد الملامح اللغوية التي يمكن أن تُغني العربية أولا وتتفق مع وجوهها ثانيا وهو الشرط الثاني في صحة قبول القراءة ، أما سبب اختيار أئمة البقيع فيعود إلى اتفاقهم كثيرا فيما يقرؤون ولا غرابة في اتفاقهم ؛ لأنهم سلسلة راوية وقراءة واحدة إمام يقرأ على إمام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

أما طبيعة الدراسة فاقتضت أن تكون بثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد وتلحقها قائمة نتائج ، أما المقدمة فتناولتُ فيها سبب اختيار الموضوع وتحديد منهجية البحث ، والتمهيد خصصته للموضوعات الآتية: القراءات ، تعريفها ، أركانها ، وآل البيت بين القراءات والقراء ، وأئمة البقيع في كتب طبقات القراء ، والقراءات وعلوم العربية وأرى أن موضوع موقف آل البيت من القراءات والقراء من الموضوعات المهمة وحاولت جاهدا أن اختصر التمهيد إلا أنَّه ظهر مطولا نوعا ما نظرا لأهميته

أما المباحث الثلاثة فالأول للملامح الصرفية ، والثاني للملامح النحوية ، والثالث للملامح الدلالية ولم اخصص مبحثا للملامح الصوتية لقلة ما رصد منها وربما نقص في استقرائي لها ، وان شاء ساستدرك ذلك في وقت آخر .

التمهيد

أولا: القراءات القرآنية تعريفها وموضوعها وفائدتها واستمدادها وأركانها.

ثانيا : آل البيت بين القراءات والقرّاء .

ثالثا : أئمة البقيع في كتب طبقات القرّاء .

رابعا : القراءات وعلوم اللغة العربية .

١. القراءات وعلم الأصوات .

٢. القراءات وعلم الصرف

٣. القراءات وعلم النحو

٤. القراءات وعلم الدلالة

القراءات القرآنية

تعريفها وموضوعها وفائدتها واستمدادها وأركانها.

علم القراءات(علم بكيفية أداء الكلمات واختلافها معزوا لناقله)[1] أو هو(علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيرهم من حيث السماع)[2] .

فائدتهُ ، صيانة القرآن الكريم من التحريف والتغيير والعلم بما يقرا به كل إمام من أئمة القراءة والتمييز بين ما يُقرا به وبين ما لا يُقرا به[3] .

أما مصادره فمن النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة السند إلى النبي الأكرم صلى الله عليه واله ، وحكم الشريعة الوجوب الكفائي تعّلما وتعليما ، قسّم العلماء القراءات على أقسام فمنها المتواترة والصحيحة ، والصحيحة ما كانت جامعة للشروط وما كانت شاذة [4] ، وليس من شأن البحث أن يفصَّل القول في هذه الأقسام والمهم ما المقاييس التي على أساسها تمّ هذا التقسيم وما أسبابه ؟.

فالسماع هو أساس القراءات ، ومصدر السماع الأول هم الصحابة الذين شافهوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترددت اسماؤهم في كتب القراءات والتفاسير ، وقد انتشروا في الأمصار الإسلامية واخذ عنه التابعون وقد عجت باسمائهم أيضا كتب التفاسير ومن بعدهم تابع التابعين وكلهم قرّاء يأخذ عنهم الناس

---

[1] . منجد المقرئين ، ابن الجزري:٣.

[2] . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، الدمياطي:٥.

[3] . ينظر: المهذب في القراءات العشر، محمد محمد سالم :٦.

[4] . ينظر: القراءات القرآنية تعريف وتأريخ ، د. عبد الهادي الفضلي :٥٦-٥٧.

ووسيلتهم الرواية والنقل وقد حاول العلماء أن يحصوا قراءات العشرات منهم في مؤلفات[٥] .

وفي خضم هذه الكثرة من القرّاء استشعر نفر من العلماء بخطورة قضية القراءة فضلا عن أهميتها فعمد أبو بكر بن مجاهد ت(٣٢٤هـ) اجتهادا إلى اختيار سبعة من القرّاء الذين اخضع قراءتهم أولا لصحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحري لغة العرب ثانيا ، ونتيجة لملابسات وأحداث أنذرت بالخطر ، فيما تعلّق بقراءة القرآن الكريم ، رأى ضرورة اتفاق القرّاء مع هجاء المصاحف وأخذت هذه الضوابط بين تشدد وإطلاق وتقديم وتأخير حتى تبلور الاتفاق النهائي للأركان الثلاثة[٦] .

أولا : صحة السند إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانيا : موافقة العربية ولو بوجه .

ثالثا : موافقة احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

فألّف ابن مجاهد بعد كتابه السبعة في القراءات كتابا آخر في القراءات الشاذة ، ويرى الدكتور شوقي ضيف انه لم يسقطهم أو يهدرهم ولكنه جعلهم وراء السبعة المختارين في علم السند والرواية[٧].

وقد جاء ابن الجزري ت(٨٣٣هـ) بعد خمسة قرون من اختيار السبعة ، فاضاف ثلاثة رأى أن دواعي قبول قراءتهم متوافرة ، وبعد ثلاثة قرون من اختيار الثلاثة ، جاء الشيخ احمد بن محمد الدمياطي ت(١١١٧هـ) ليضيف أربعة قرّاء توافرت فيهم الأركان الصحيحة في قبول القراءة فصار القراء أربعة عشر قارئا ، أشهرهم السبعة ومن ثم الثلاثة فالأربعة الأُخر.

يتضح لنا من طريقة اختيار القرّاء انَّه اجتهاد محض ، والاختيار ما زال مفتوحا للمتخصصين في علم القراءات واختيار الخامس عشر والسادس عشر من

---

[٥] . ينظر: مقدمة السبعة في القراءات ، د.شوقي ضيف:١٤-١٥.

[٦] . ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:٩/١.

[٧] . ينظر:مقدمة السبعة :٢.

القراء متى ما توافرت الأركان الثابتة وصحت عند المجتهد في علم القراءات ، ويؤكد هذا الكلام الزركشيّ ت(٧٩٤هـ) بقوله:(قال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتاب الكافي له: فان قال قائل: فلم أدخلتم قراءة أبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي في جملتهم ، وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا: إنما اتّبعنا قراءتهم كما اتّبعنا السبعة ؛ لانَّا وجدنا في قراءة غيرهما مّمن بعدهما من العلم والثقة بهما ، واتصال إسنادهما وانتفاء الطعن بروايتهما)[٨] فالقراءة الشاذة هي ما خالفت ركنا من أركان القراءة المتفق عليها .

آل البيت بين القراءات والقرّاء

الصنف الأول من قرّاء القرآن الكريم هم من الصحابة رضوان الله عليهم فهم من تلقى الآيات والكلمات والحروف حرفا حرفا عن رسول الله صلى الله عليه واله ، وآل البيت كانوا صحابة ، ولكنهم يختلفون عن الصحابة في صفتين:

إحداهما: أنهم آل البيت وخاصة رسول الله .

والأخرى: أنهم معصومون من الزلل والخلل –عند من يعتقد بعصمتهم– فضلا عن كونهم صحابة وهي صفة ثالثة .

بقي سؤال هل هذه الصفات الثلاث المقدّسة تنطبق على آل البيت كلهم ، أي الأئمة الاثني عشر أم على بعضهم ؟ .

صفة الصحابة أو منزلتهم تنطبق على ثلاثة من آل البيت وهم الإمام علي والحسن والحسين فضلا عن الزهراء– سلام الله عليهم– وتسقط هذه الصفة من الأئمة من ذرية الحسين وتبقى لهم صفتا الآل والعصمة ، وتضاف إلى الإمامين:علي بن الحسين ومحمد الباقر مرتبة التابعين وتضاف إلى الإمام جعفر الصادق مرتبة تابع التابعين ، فيبقى آل البيت إلى الإمام الصادق يحملون ثلاث مراتب أو منازل مقدسة ، فأئمة البقيع احدهم صحابي والثاني والثالث تابعيان والرابع تابع التابعين فضلا عن الصفة الأولى المتفق عليها والثانية المختلف فيها .

---

[٨] . **البرهان ، الزركشي:١/٣٣٠.**

هذه المراتب المقدّسة صحابي وتابعي وتابعهم لها أثرها الكبير في قبول القراءة وتوثيقها ، هؤلاء هم وسيلة القراءة القريبة من المصدر بآلية المشافهة والرواية فقد كان آل البيت ولا سيما أئمة البقيع قرّاء يُقرؤون الناس ما ورد عن آبائهم عن رسول الله ، والقرّاء بين ظهرانيهم ، ولم يرد منهم ردعا أو زجرا بمنع القراءة ، بل على العكس من ذلك أنهم كانوا يقولون: اقرأوا كما تقرأ الناس واقرأوا كما علّمتم[٩] ، فهذا إمضاء منهم على القراءات الواقعة فعلا في زمانهم .

آل البيت أقرب الناس إلى رسول الله ولا سيما الصحابة منهم ، وأمير المؤمنين ربيب البيت النبوي ، يروى عنه انه قال: والله ما من آية نزلت إلا واعلم أين نزلت ومتى نزلت في ليل أم في نهار،[١٠] ومن لديه هو وابناؤه عليهم السلام هذه العلاقة مع القرآن هم أحق بأن نأخذ القرآن والقراءات عنه.

ومع كل هذه المنزلة والخصال ، نجد الكثير من قراءاتهم حبيسة كتب القراءات الشاذة تلك القراءات التي افتقدت لشرط من شروط صحة قبول القراءة وأتساءل متعجبا كيف تفتقر قراءة الإمام علي عليه السلام إلى صحة السند وهو ربيب البيت النبوي ؟ وكيف تفتقر إلى وجه من وجوه العربية وهو سيد البلغاء والمتكلمين ؟ وكيف تخالف قراءته رسم المصحف وهو كاتب الوحي ؟ .

أما علاقة بعض القرّاء السبعة المشهورين بآل البيت فعلاقة تابع التابعي حين يقرأ على التابعي ، والتابعي حين يقرأ على الصحابي ، يعني علاقة الطريق بالراوي ، والراوي بالإمام على وفق مصطلحات علم القراءات.

اولا: عاصم بن أبي النجود ت(١٢٧هـ) احد القرّاء السبعة يروى المصحف الشريف بقراءته برواية حفص وقد ارتبطت قراءة المصحف باسمه ، يقول احد الفقهاء:(إن الشخص الذي اختار قراءة حفص عن عاصم وجعلها مشهورة وهو شخص مجهول على أية حال لم يقصّر في أمره ،بل كان دقيق النظر باعتبار أن هذه القراءة بالرغم

---

[٩] . **ينظر: البيان في تفسير القرآن ، ابو القاسم الخوئي:١٩١ والقراءات القرآنية:٦٩**

[١٠] .**شرح إحقاق الحق ، السيد المرعشي:٣٢/٦٨.**

مّما فيها من بعض النقاط تعد فعلا أفضل القراءات وأفصحها لو نظرناها بمنظار عام)[١١].

اخذ عاصم القراءة عن عبد الرحمن السّلمي ت(٧٤هـ) الذي انتهت إليه قراءة الكوفة وقد اخذ عبد الرحمن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ينقل ابن مجاهد عنه(وكان يقول: قرأت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه القرآن كثيرا وأمسكت عليه المصحف فقرا عليّ وأقرأت الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما حتى قَرَا عليّ القرآن وكانا يدرسان على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه)[١٢] .

ثانيا: حمزة بن حبيب الزيات ت(١٥٦هـ) أحد القراء السبعة ، قرأ على الإمام جعفر الصادق ، قال ابن مجاهد في أستاذه حمزة :(وقرا حمزة أيضا على جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقرا جعفر على آبائه ...)[١٣].

يتضح لنا من قول مجاهد أن جعفر الصادق قرأ على آبائه وأنهم –عليهم السلام– سلسلة ذهبية في الرواية والقراءة ، يتوارثون علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إماما بعد إمام وقد أكّد قوة هذه السلسلة القرائية المقدّسة ابن خالويه ت(٣٧٠هـ) وتابعه الزمخشري ت(٥٣٨هـ) حين ذكرا قراءة "زوجنكها" اصطلحا عليها قراءة أهل البيت قال ابن خالويه:(" زوجنكها " بلا ألف قراءة أهل بيت النبي– صلى الله عليه واله وسلم – علي والحسن وجعفر بن محمد ومحمد بن الحنفية ، قال فقيل لجعفر بن محمد فلما قضى زيد منها وطرا زوجنكها أليس تقرأ على غير ذلك؟ فقال لا والله الذي لا اله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا كذلك ولا قرأ بها أبي على أبيه إلا

---

[١١] . **منة المنان في الدفاع عن القرآن ، محمد محمد صادق الصدر:١٨/١-١٩.**

[١٢] . **السبعة في القراءات:٦٨.**

[١٣] . **المصدر نفسه:٧٣.**

كذلك ولا قرأ[١٤] بها الحسين بن علي على أبيه إلا كذلك ولا قراها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه واله وسلم إلا هكذا)[١٥].

وسأترك المقياسين: الأول والثالث في قبول القراءة لأهل الاختصاص في السند والرواية والرجال ، وهجاء المصحف واقتصر على المقياس الثاني موافقة العربية ولو بوجه وهو محور البحث وحقل الاختصاص .

أئمة البقيع في كتب طبقات القُرّاء

وُضعتْ مصنفات في طبقات القرّاء ، ترجمت لهم ، وذكرت أسانيدهم وأساتذتهم وعلى مَن تلقوا القراءة ، وتذكر رواتهم وبعض الأخبار المتعلّقة بالقراءة ، ورحلاتهم ومخالفاتهم لبعض القرّاء ، ولعل أشهر هذه المصنفات: غاية النهاية في طبقات القرّاء لابن الجزري فقد وضع لكل قارئ رقما في طبقاته إلا انّه لم يترجم للإمام الحسن بن علي –عليهما السلام – أما أئمة البقيع الثلاثة فهم على النحو الآتي :

أولا:(علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام زين العابدين ، عرض على أبيه الحسين)[١٦] ، لم يذكر ابن الجزري الإمام السجاد غير ما ذكرتُ وقد اهمل ولادته ووفاته وسلسلته القرائية المقدّسة عن آبائه ورواية أبنائه الأئمة عنه .

ثانيا:(محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ؛ لأنَّه بقر العلم أي شقّه وعرف ظاهره وخفيه ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، ولد سنة ست وخمسين ، عرض على أبيه زين العابدين وروى عنه وعن جابر وابن عمر وابن عباس وغيرهم ... وكان سيد بني هاشم علما وفضلا وسنة ... مات سنة ثمان

---

[١٤] . وفي الكشاف الحسن علي ، ينظر:٣/٥٥٢.

[١٥] . مختصر شواذ القراءات:١١٩ وينظر: الكشاف:٣/٥٥٢.

[١٦] . غاية النهاية في طبقات القراء ، الإمام شمس الدين ابن الجزري:١/٤٧٣.

عشر ومائة وقيل: أربع ، وقيل: خمس ، وقيل :ست)[١٧] وروى عنه بعض الأخبار بعد أن وضع ترجمته بالرقم (٣٢٥٤) .

ثالثا:(جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الصادق أبو عبد الله المدني: قرأ على آبائه رضوان الله عليهم محمد الباقر فزين العابدين فالحسين فعلي رضي الله عنهم أجمعين...قرأ عليه حمزة ولم يخالف حمزة في شيء من قراءته إلا في عشرة أحرف ...)[١٨] ونقل عنه بعض الأخبار التي تتعلّق بمن تلقى القراءة عنه بعد وضع ترجمته بالرقم (٩٠٤) .

القراءات وعلوم اللغة العربية

القراءات ميدان واسع جال فيه اللغويون أخذا وعطاء رفضا وقبولا تضعيفا وتقوية إعجابا بقرّائها وطعنا وتحاملا فبين هذا وذاك ظلّت القراءات وما زالت منبعا من منابع اللغة ، أفاد منها اللغويون والنحويون استشهادا وتقعيدا

فالقراءات وجوه صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ينطق بها القرّاء نقلا ورواية فهي على علاقة وثيقة بعلوم هذه الوجوه ولا سيما أنَّ طائفة من القرّاء كانوا لغويين ونحويين أمثال آبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والكسائي وغيرهم ، ويمكن أن نتناول هذه العلاقة بشيء من الاختصار:

١. **القراءات وعلم الأصوات .**

الصوت اللغوي أصغر وحدة في بنية اللغة ، والأصوات العربية لها مخارجها المحددة وصفاتها التي تميّز صوتا من آخر ، وقد قسّم الأصواتيون أصواتَ العربية على صوامت وصوائت ، والأولى ستة أصوات ثلاثة حروف: الألف والواو والياء وثلاثة حركات: الفتحة والضمة والكسرة ، وما تبقى من حروف العربية صوائت كلها ، وكان للقراءات القرآنية أثر كبير في أصوات العربية من ناحية إبدال حرف من آخر أو إدغام حرف بآخر أو يثار حركة على أخرى أو إمالة أو اختلاس وغيرها من

---

[١٧] . **المصدر نفسه:١/١٧٩.**

[١٨] . **المصدر نفسه: ٢/١٧٨.**

الملامح الصوتية المعروفة ، ويمكن أن نوضّح هذا التأثير والتأثر بالأمثلة المقتضبة الآتية :

قُرئت لفظة "حاش" في قوله تعالى:(**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ**)[١٩] "حاشا لله"[٢٠] ، وقُرئت لفظة "عسُيتُم" في قوله تعالى:(**هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ**)[٢١] "عسِيتم" بكسر السين[٢٢] ، وغيرها من القراءات الصوتية .

٢.القراءات وعلم الصرف :

يُعنى علم الصرف بالكلمة من حيث الوزن والاشتقاق والجمود والإبدال والإعلال والتخفيف والتشديد والهمز وغيرها من الموضوعات الصرفية .

---

[١٩] . **يوسف:٣١.**

[٢٠] . **قراءة أبي عمرو بن العلاء ، ينظر:السبعة في القراءات:٣٤٨.**

[٢١] . **البقرة ٢٤٦.**

[٢٢] . **قراءة نافع ، ينظر: السبعة في القراءات:١٨٦.**

كان للقراءات النصيب الأوفر من الملامح الصرفية ، ومنها على سبيل التمثيل قراءة لفظة "معايش" في قوله تعالى:(**لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**)[٢٣] "معائش " ممدودة مهموزة [٢٤]، وقرئت لفظة "سكارى" في قوله تعالى:(**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**)[٢٥] "سُكْرى وما هم بسُكْرى " بضم السين والكاف الساكنة[٢٦] ، وغيرها كثير من القراءات الصرفية .

٣. القراءات وعلم النحو.

علاقة القراءات بالنحو وبالعكس أشهر من أن تُختزل بأسطر أو تختصر بمثال أو اثنين ، يقول الدكتور محمد سمير اللبدي:(قراءات تولدت عنها قواعد نحوية مختلفة أو شاركت في بناء هذه القواعد لا نستطيع في الواقع أن نحصر كل القواعد التي نتجت عن قراءة ما أو تولّدت منها فهي أكثر من أن تحصر أو تحد في رقم)[٢٧].

٤. القراءات وعلم الدلالة .

المعنى ضالة الدراسات الإنسانية: اللغوية والنحوية والبلاغية والصوتية والأصولية والاجتماعية والنفسية والفلسفية وغيرها ، وكانت للقراءات حصتها منه وعلى وفق الدلالتين: المعجمية والسياقية ، واكتفي بالمبحث الذي عقدته للملامح الدلالية عن التمثيل

---

[٢٣] . **الأعراف:١٠**

[٢٤] . **وهي قراءة نافع ، ينظر:السبعة في القراءات:٢٧٨.**

[٢٥] . **الحج:٢.**

[٢٦] . **وهي قراءة أبي زرعة ، ينظر: المحتسب:١١٥**

[٢٧] . **أثر القرآن والقراءات في النحو العربي:٣٤٧.**

المبحث الأول

الملامح الصرفية

ومنها

١- (المَفرّ) و(المفِرّ).

٢- (مُبصرة) و(مَبصرَة).

٣-(أتينا) و(آتينا).

(المَفَرّ) و(المفِرّ)

قرأ الإمام الحسن بن علي –عليها السلام– لفظة "المَفَرّ" في قوله تعالى:(يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ)[٢٨] "المفِرّ" بكسر الفاء[٢٩].

تناول اللغويون توجيه هذه القراءة من جانبين مختلفين احدهما للفراء ت(٢٠٧هـ) والآخر لابن جني ت (٣٩٢هـ) ، وقد تابع الأخير المفسرون والمشتغلون بالقراءات .

أما الفراء فيرى أن القراءتين: (المَفَرّ والمفِرّ) لهجتان وقد مثّل لهما بنظائر ، قال:(إنما المفرّ مَفرّ الدابة حيث تفرّ وهما لغتان المَفَرّ والمَفِرّ والمدِبّ والمدَبّ وما كان يفعل به مكسورا مثل يدِبّ ويفِرّ ويصِحّ ، فالعرب تقول: مَفِر ومَفَر ومصِح ومصَح ومدِب ومدَب)[٣٠].

أما ابن جني فيرى أن(المَفَرّ بفتح الميم والفاء – المصدر أين الفِرار والمَفِرّ بفتح الميم وكسر الفاء – الموضع الذي يفرّ إليه)[٣١] ، وتابعه في توجيه القراءة أبو علي الطوسيّ (من علماء القرن السادس الهجري) بعد أن نسب هذا الرأي إلى الفراء[٣٢] ، وقد بيّنا أن الفراء وجه القراءة على أنها لهجة ، ولربّما نقل الرأي في كتاب آخر للفراء.

---

[٢٨] . القيامة:١٠

[٢٩] . وهي قراءة الإمام الحسين بن علي وابن عباس وابن يعمر ومجاهد وكلثوم وقتادة وحماد بن سلمة أبي الرجاء وابن أبي عبلة وعكرمة وأيوب السختياني والحسن ، ينظر:مختصر شواذ القراءات ،ابن خالويه:١٦٥ والمحتسب، ابن جني:٤٠٢/٢ والبحر المحيط٣٨٦/٨.

[٣٠] . معاني القرآن ،الفراء:٢١٠/٣.

[٣١] . المحتسب:٤٠٣/٢.

[٣٢] . ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن:٥٩٨/١،٥٩٦.

والذي يبدو لي أن قراءة الإمام الحسن ومن تابعه فيها وافقت العربية على وفق التوجهين:

فعلى توجيه الفراء إنهما لهجتان يكون معنى(المفَرّ والمفِرّ) مصدرا ، أي الفرار، وهذا يتفق مع رأي المفسرين في توجيه قراءة الجمهور.

أما توجيه ابن جني أنَّه موضع الفرار، أي اسم مكان فقراءة المفِرّ راجحة ومتسقة المعنى في سياقها الداخلي والمتمثل بالقرائن الآتية:

أولا: قوله تعالى:(كَلَّا لَا وَزَرَ)[٣٣] والوزر هو الملجأ ، قال الطبرسي:(أي لا مَهرب ولا ملجأ يلجاون إليه)[٣٤] ، والملجأ والمهرب اسما مكان .

ثانيا : قوله تعالى:(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)[٣٥] ، ولفظة المستقر قرينة واضحة إلى المكان ، قال الطبرسي: (وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر)[٣٦].

ثالثا: والأوضح مّما تقدم ذكره أن اسم الاستفهام " أين" لا اختلاف في أنَّه للمكان .

وبذلك نرى أنَّ قراءة الإمام قد وافقت العربية واتسق معناها في السياق القرآني الواردة فيه والله اعلم بكلامه.

---

٣٣ . **القيامة:١١.**

٣٤ . **مجمع البيان:٥٩٨/١٠.**

٣٥ . **القيامة:١٢.**

٣٦ . **مجمع البيان:٥٩٨/١٠**

(مُبصرة) و(مَبصرَة).

قرأ الإمام علي بن الحسين –عليهما السلام– لفظة "**مُبصِرة**" في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)[٣٧] "مَبصَرة" بفتح الميم والصاد [٣٨].

فقراءة جمهور القرّاء " **مُبصِرة**" أي واضحة ومبينة[٣٩] ، أو الظاهرة البيّنة[٤٠] ، ومعنى الآية الكريمة فلما جاءتهم حججنا واضحة وظاهرة وبيّنة ومضيئة قالوا هذا سحر ظاهر بيّن.

أما قراءة الإمام علي بن الحسين "**مَبصَرة**" فلأجل التبصر[٤١] ، على نحو الكثرة والمبالغة وهي كقوله هدى ونورا[٤٢].

واللفظة وفقا لقراءة الإمام بوزن "المَفْعَلة" وقد كثر هذا الوزن في لغة العرب ويراد به الشياع والكثرة لإرادة المبالغة والشياع هذا الوزن جاء في الجواهر والأحداث على حد تعبير ابن جني.

أما في الجواهر فقال:(أرض مَضَبّة كثيرة الضِّباب ومفعلة كثيرة الثعالة ومحياة ومحواة ومعفاة كثيرة الحيات والافاعي فهو في الجواهر)[٤٣].

---

[٣٧] . **النمل:١٣.**

[٣٨] . **وهي قراءة قتادة أيضا ،ينظر: المحتسب:١٨٠/٢ والكشاف:٣٥٧/٣ومجمع البيان:٣٣١/٧.**

[٣٩] . **ينظر:معاني القرآن،النحاس:٨٧١/٢:**

[٤٠] . **ينظر: الكشاف:٣٥٦/٣.**

[٤١] . **ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن ، العكبري:١٧٢/٢.**

[٤٢] . **ينظر: المحتسب:١٨٠/٢.**

[٤٣] . **ينظر:المصدر نفسه:١٨٠/٢.**

أما في الأحداث فقال في قول العرب الفصحاء:(البطْنة مَوْسَنَة واكل الرطب مَوْرَدة ومَحْمَة ومنه المَسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ...)[٤٤].

وقد استقرأ ابن جني معنى الكثرة والمبالغة في هذا الوزن الصرفي الذي جاءت به قراءة الإمام السجاد وتابعه الطبرسي من موضعين:

(احدهما المصدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم والسعة ، والآخر التاء وهي لمثل ذلك كرجل رواية ، وعلامة ونسابة وهذرة ولذلك كثرت المفعلة فيما ذكرناه الإرادة المبالغة)[٤٥].

والذي أودّ أن أقف عنده وزن "مَفعَلة " أمصدر هو أم اسم مكان ؟ والظاهر أن صيغة "مَفعَلة" و"مفعل" مشتركة بين المصدر واسم المكان ، قال ابن المؤدب:(من علماء القرن الرابع الهجري) :(وإذا كانت العين في " يفعل" مضمومة أو منصوبة فـ "المفعل" منصوب أردت به المصدر والاسم نحو المذهَب للذهاب والمذهب لموضع الذهاب والمَعلَم في الوجهين جميعا...)[٤٦].

والمميز لهما القرائن السياقية واذا فقدت القرينة فالصيغة تصلح للمكان والزمان والمصدر[٤٧].

ومن الجدير بالذكر أنَّ صيغة "مَفْعَلة" مع الجواهر المذكورة آنفا في قول ابن جني جاءت اسم مكان ، قال الزمخشري بعد أن ذكر نظائر لهذه الصيغة:(مجينة ، ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر)[٤٨].

---

[٤٤] . ينظر:المصدر نفسه:٢/١٨٠.

[٤٥] . ينظر: المحتسب:٢/١٨٠ ومجمع البيان:٧/٣٣٢.

[٤٦] . دقائق التصريف :١٢٤.

[٤٧] . ينظر: شذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي:٦٥.

[٤٨] . الكشاف:٣/٣٥٧.

في حين نجد صيغة "مَفعَلة" مع الأحداث جاءت مصدرا مع أن ابن جني ومن تابعه ذكروا أنها مصدر في القراءتين:(مُبصِرة ومَبصَرة) .

يبدو لي أن السياق القرآني هو من يحدد إن كان مصدرا أو اسم مكان فوقوعها مفعولا لأجله في النص الكريم يقتضي أن تكون مصدرا والمعنى على وفق قراءة الإمام ولمّا جاءتهم آياتنا لأجل التبصر قالوا هذا سحر مبين وليست الآيات مكانا للتبصر كما ذهب إليه الزمخشري والله أعلم بحقائق الأمور .

أما قراءة الإمام الحسن فقد جاءت على سمة لغة العرب ولها وجه صرفي وقد تحققت فيها موافقة العربية ومن ثمَّ فصاحة قارئها.

(أتينا) و(آتينا).

قرأ الامام جعفر الصادق –عليه السلام– لفظة "أتينا" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾[٤٩] "آتينا "[٥٠].

يرى الفراء أن "آتينا" بمد الألف معناها جازينا بها على زنة فاعلنا وقد استحسن هذا الوجه [٥١] ، وتابعه في توجيهه ابن جني[٥٢] ، وابو علي الطبرسي [٥٣] وأبو القاسم الزمخشري [٥٤] وابو البقاء العكبري [٥٥] .

---

[٤٩] . الانبياء:٤٧.

[٥٠] . وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والعلاء بن سبابة وابن شريح الاصبهاني وابن ابي اسحاق وعكرمة ، ينظر:معاني القرآن ،الفراء :٢٠٥/٢ و المحتسب:١٠٧/٢ والكشاف :١٢١/٣ومجمع البيان:٨٠/٧ والبحر المحيط:٥٧٥/٢.

[٥١] . ينظر:معاني القرآن ،الفراء :٢٠٥/٢

[٥٢] . ينظر: المحتسب:١٠٨/٢

[٥٣] . ينظر:مجمع البيان:٨٠/٧

[٥٤] . ينظر:الكشاف :١٢١/٣

القراءة المشهورة "أتينا " بالقصر بمعنى "جئنا "[٥٦] وقد قرأ " أُبي على المعنى أي على تفسيرها "جئنا بها" [٥٧] .

أما قراءة الإمام جعفر الصادق (آتينا" ومن وافقه فيها من القرّاء فزنة "فاعلنا" وليست "أفعلنا" كما يرى ابن جني ؛ لأنها لو كانت "أفعلنا" لما احتيج إلى الباء وليقل "آتيناها" [٥٨] .

توضيح ذلك أن صيغة "افعل" من أوضح معانيها التعدية فتصير ما كان لازما متعديا وهذا ما أراده ابن جني من انه لو كانت "آتينا" صيغة "افعل" لما احتيج الى الباء .

واتفق الزمخشري مع الفراء وابن جني في زنة "فاعلنا" ومعنى "جازينا بها" ولكنه ذكر الصيغة والمعنى بالمصدر لا بالفعل قال : ("وآتينا بها" وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم انوا بالاعمال واتاهم بالجزاء...) [٥٩]

توضيح ذلك أن آتى مضارعه يواتي ومصدره مُواتاة ، والأخير زنة "مُفاعلة" ونظيره قاتل قتال ومقاتلة وهذه الصيغة تدل في معناها على التشارك بين اثنين او أكثر وهو أن يفعل احدهما بصاحبه فعلا فيقابله الآخر بمثله فينسب إلى الباديء نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية [٦٠].

---

[٥٥] . ينظر:إملاء ما منَّ به الرحمن:١٣٣/٢.

[٥٦] . ينظر: المصدر نفسه:١٣٣/٢.

[٥٧] . ينظر:الكشاف :١٢١/٣

[٥٨] . ينظر: المحتسب:١٠٨/٢

[٥٩] . ينظر:الكشاف :١٢١/٣

[٦٠] . شذا العرف في فن الصرف:٦٥.

ويمكن أن يعترض على قول ابن جني المتقدم ذكره في ترجيح صيغة "فاعلنا" على "أفعلنا" بحجة التعدي بالباء من أن الصيغتين تشتركان في تصير ما كان لازما متعديا (... فإذا كان أصل الفعل لازما صار بهذه الصيغة متعديا ...) [٦١].

ومع هذا الأشكال يبقى رأي ابن جني ومن تابعه رأيا راجحا من ناحية معنى الصيغة في السياق القرآني الواردة فيه ومما يرجح قراءة الإمام الصادق وأتباعه أن الشيخين الطوسيّ والطبرسيّ نقلا ما روي عن الإمام في معنى الآية الكريمة ، قال الطبرسي: (وروي عن الصادق –ع– انه قال معناه جازينا بها)[٦٢] .

يظهر من ذلك أن الإمام –عليه السلام– فسّر الآية وفقا لقراءته وربما سُئل عنها –والله العالم –وهذا ما يقوي صحة سند القراءة إليه ، فضلا عن معناها .

والذي يلاحظ على الشيخ الطبرسي انه بعد أن نقل رأي ابن جني أنها "فاعلنا" ، ورواية الإمام الصادق أنها جازينا بها ، ذكر رأيا خالف فيه رأي ابن جني ، قال:(... وعلى هذا فيجوز أن تكون من "أفعلنا" ويكون مفعول آتينا محذوفا وتقديره آتيناها بها للجزاء) [٦٣].

وقد عاد الإشكال من جديد في زنة " آتينا " أفاعلنا هي أم أفعلنا ؟.

يبدو لي أن" آتينا " هي فاعل بمعنى أفعل المتعدي ، وهذا المعنى وارد في لغة العرب يُراد به الموالاة ، أي المتابعة والموالاة احد معني صيغة "فَاعَل" ونظيره واليتُ الصومَ وتابعته بمعنى أوليتُ واتبعتُ بعضه بعضا [٦٤] .

ووفقا لهذا المعنى تكون الآية الكريمة على قراءة الإمام الصادق وإن كان مثقال حبة من خردل جازينا بها بمعنى اجزيناها.

والذي يرجح هذا المعنى جانبان:

---

[٦١] . **المصدر نفسه:٦٥**

[٦٢] . **مجمع البيان:٧/٨٠.**

[٦٣] . **المصدر نفسه:٧/٨٠.**

[٦٤] . **ينظر: شذا العرف :٦٥.**

احدهما: المقام يقضي بأن هناك موالاة وتتابعا واستمرارية في ثواب المؤمنين ما دامت الحياة قائمة وبني البشر مكلفين .

والآخر: قراءة حُميد على التفسير" أثبنا بها"[٦٥] وثواب المحسنين لا ينقطع أبدا – والله العالم بحقائق الأمور–

المبحث الثاني

الملامح النحوية

ومنها

١. (لمُستقَرٍّ) و(لا مستقرَّ).

٢. (من كلِّ) و (من كلٍّ).

٣. (نَتَّخذ) و (نُتَّخذ).

---

[٦٥] . **ينظر: الكشاف:٣/١٢١.**

(لمُستقَرٍّ) و(لا مستقرَّ).

قرأ الأئمة: علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق –عليهم السلام– لفظة "لمستقرٍّ" في قوله تعالى:(**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**) [٦٦] " لا مستقرَّ لها" [٦٧] .

نسبها ابن خالويه إلى النبي الأكرم[٦٨] – صلى الله عليه آله وسلم – من دون وساطة صحابي أو تابعي ، وقُرئت أيضا "لا مستقرٌّ لها" بالرفع [٦٩] ، وذكر أيضا أنها في بعض المصاحف "إلى مستقر لها "[٧٠] ، وقُرئت "لمستقِرٍّ لها" بكسر القاف[٧١].

أما قراءة أئمة البقيع نحويا فـ (لا) نافية للجنس ومستقر اسم لا مبني على الفتح في محل نصب ،وظاهر معنى الآية الكريمة وفقا لقراءة الائمة أنها تجري دائما ولا تستقر أبدا ، يرى ابن جني في توجيه المعنى على قراءتهم أن ظاهر هذا الموضع العموم ومعناه معنى الخصوص ؛ لأنَّ (لا) النافية للجنس تنفي نفيا عاما وهذا هو ظاهر العموم في نفي استقرار الشمس ، أما وجه الخصوص فإن الشمس مرتبط استقرارها بنهاية السموات فلا مستقرَّ لها ما دامت الدنيا قائمة وتستقر بانقضائها[٧٢]

---

[٦٦] . **يس : ٣٨ .**

[٦٧] . **وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رياح ، ينظر : المحتسب : ٢ ٢٥٧ ومجمع البيان : ٦٦٢/٨ .**

[٦٨] . **ينظر : مختصر شواذ القراءات : ١٢٦ .**

[٦٩] . **ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٣٧٧/٢ وهي قراءة ابن أبي عبلة ، ينظر : البحر المحيط : ٣٣٦/٧.**

[٧٠] . **ينظر : مختصر شواذ القراءات : ١٢٦ .**

[٧١] . **ينظر : معني القرآن ، الفراء : ٣٧٧ وهي قراءة زيد عن يعقوب ينظر : مجمع البيان : ٦٦٢/٨**

[٧٢] . **ينظر : المحتسب : ٢٥٧/٢ .**

استدل ابن جني وتابعه أبو علي الطبرسي بظاهر العموم ومعنى الخصوص بقول الشاعر:

ابكي لفقدك ما ناحت مطوقة

وما سما فننٌ يوما على ساق

والحقيقة أن بكاءه ليس أزليا وإنما ينتهي بموته واستقرار الشمس في نفي العموم يثبت بزوال السماوات [٧٣] .

يظهر أن توجيه القراءة بهذه الطريقة مقبول ولا تكلّف فيه إذا ما تمسّكنا بالقراءة من جانبين مهمين:

احدهما: أنّ الأئمة الثلاثة من آل البيت هم اقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمهم من علمه وهذا ما يرجّح صحة نسبة القراءة إلى رسول الله وهذا الشرط الأول في قبول القراءة ، فضلا عن كون الإمامين: علي بن الحسين ومحمد الباقر من التابعين ، ويمكن ضم هذه الصفة أو المرتبة المقّدسة لتقوية القراءة.

والآخر: موافقة القراءة للعربية وهذا هو مضمون البحث فلا اختلاف في مجيء القراءة على وفق المعايير النحوية ، وقد استحسن الفراء قراءة أئمة البقيع " **مستقرَّ** " بالنصب وقراءة ابن أبي عبلة "**مستقرُّ** " بالرفع من دون أن ينسب القراءتين إلى أصحابها ، قال:(فهما وجهان حسنان)[٧٤].

ووجه الاستحسان موافقة العربية لا غير فلم يبق من شروط الأخذ بالقراءة سوى رسم المصحف ، فلم ينقل من عدّها شاذة أنها مخالفة لرسم المصاحف العثمانية ، ولا سيما أن بعض المفسرين يرى أن قراءة المصحف " **لمستقرّ** " والقراءة المروية عن أئمة البقيع "**لا مستقر**" بمعنى واحد وهي أن الشمس تجري لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا على القراءتين كليهما[٧٥] .

---

[٧٣] . **ينظر :المحتسب: ٢٥٧/٢ ومجمع البيان:٦٦٢/٨**

[٧٤] . **ينظر : معاني القران : ٣٧٧/٢**

[٧٥] . **ينظر : مجمع البيان : ٨/ ٦٦٣ .**

(من كلّ) و (من كلٍّ).

قرأ الإمامان محمد الباقر وجعفر الصادق –عليهما السلام– لفظة "من كلّ " في قوله تعالى:(**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**)[٧٦] " من كلٍّ" بالتنوين[٧٧].

تناول الفراء قراءة التنوين ويرى أننا لم نسأل الله شيئا فـ (ما) نافية والمعنى على هذه القراءة وآتاكم من كلٍّ من ما لم تسألوه[٧٨] ، وقد رجّح قراءة العامة "من كلّ " ، قال:(والوجه الأول أعجب إليه ؛ لأنَّ المعنى – والله اعلم – آتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه كأنك قلت: وآتاكم سؤلكم)[٧٩].

وتابع الفراء في ترجيحه أبو جعفر النحاس وعدّ قراءة التنوين – وقد نسبها إلى الضحاك والحسن فقط – وجها جائزا لكنه بعيد[٨٠] .

أما ابن جني والطبرسيّ فقد وجها إعراب قراءة الإمامين ومن تابعهم وقراءة عامة ، قال ابن جني:(وأما على هذه القراءة فالمفعول ملفوظ به أي واتاكم ما سألتموه أن يأتيكم منه ، وأما قراءة الجماعة على الإضافة فالمفعول محذوف أي

---

[٧٦] . إبراهيم : ٣٤

[٧٧] . وهي قراءة ابن عباس والحسن والضحاك وعمر بن قائد ويعقوب ينظر : المحتسب ٣٨/٢ ومجمع البيان ٤٨٤/٦ ونسبها ابن خالويه إلى سلام بن المنذر ، ينظر : مختصر شواذ القراءات: ٦٨ .

[٧٨] . ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٧٨/٢ .

[٧٩] . المصدر نفسه : ٢/ ٧٨ .

[٨٠] . ينظر : معاني القرآن ، النحاس : ١/ ٥٨٩ .

وآتاكم سؤلكم من كل شيء: أي واتاكم ما ساغ إيتاؤه إياكم إياه منه)[٨١] . وتابعه في هذا التوجيه العكبري[٨٢].

ويتضح مّما تقدم أن القراءة استوفت لشرط السند وقد قرأها بعض الصحابة وإمامين من آل البيت احدهم تابعي ، وقد وافقت العربية وهو محور البحث ولم يرفضها الفراء وعدّها النحاس وجها جائزا ، أما موافقة المصاحف فلم تختلف عن رسم المصحف الشريف سوى بكسره وان مثل هذه الزيادة تغتفر عند علماء القراءات ولا تعدّ مخالفة لرسم المصحف –والله العالم–.

(نَّتَّخذ) و (نُتَّخذ).

قرأ الإمامان: محمد الباقر وجعفر الصادق – عليهم السلام– لفظة " نَّتَّخذ" في قوله تعالى:(**مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ**)[٨٣] " نُتَخذ " بضم النون وفتح الخاء مبنيا للمجهول [٨٤] .

اختلف النحويون والمفسرون في موضع " أولياء"المجرور بـ " من " أمفعول به هو أم حال على وفق قراءة الإمامين " نّتخذ " ؟ .

الرأي الأول : انَّه مفعول به وإن كان مخالفا للقياس ، ذكر النحويون لزيادة "من" ثلاثة شروط **احدها:** أن يتقدمها نفي أو شبهه ، **والثاني:** أن يكون مجرورها نكرة ، **والثالث:** أنها لا تزاد إلا مع الفاعل أو المفعول به أو المبتدأ[٨٥].

---

[٨١] . **المحتسب : ٣٨/٢ وينظر مجمع البيان : ٤٨٤/٦ .**

[٨٢] . **ينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢ / ٦٩ .**

[٨٣] . **الفرقان : ١٨**

[٨٤] . **وهي قراءة أبي جعفر المدني ومجاهد ونصر بن علقمة ومكحول وابي الرجاء والحسن وحفص ابن حميد وزيد عن يعقوب وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وزيد بن علي ، ينظر : معاني القران الفراء : ٢٦٤/٢والمحتسب:١٦٢/٢ ومجمع البيان:٢٥٥/٧والكنز في القراءات العشر، الواسطي:٢٠٧.**

[٨٥] . **ينظر : مغني اللبيب:٦١٦/١**

هذا هو القياس في زيادة "من" فلا تُزاد في ثاني مفعولي ظنّ ولا ثالث مفعولات اعلم ؛ لأنهما في الأصل خبر ، بل تزاد في المفعول الأول فقط كقولنا: ما اتخذت من أحد وليا ، ولا يجوز ما اتخذت أحداً من ولي[٨٦]

وقد جاءت قراءة الإمامين ومن تابعهم مخالفة للقياس ؛ لان "من" زيدت مع المفعول الثاني هذا الوجه جوزه الفراء وابن هشام ت(٧٦١هـ) على شذوذ وقلة من قراء به[٨٧].

والذي يلاحظ على الفراء أنَّه وصف القراءة بقلة من قرأ بها والحقيقة أنَّ طائفة كبيرة من القراء قرأت بالبناء للمجهول ، ومنهم صحابة وتابعون وبعضهم من القرّاء الأربعة عشر .

والظاهر أن الذي دفع الفراء وابن هشام إلى أن يصفا القراءة بالشذوذ هو مخالفة الشرط الثالث من شروط قياسها(فلو لم تكن في الأولياء "من" كان وجها جيدا) [٨٨].

الرأي الثاني: أن موضع "أولياء" حال ، قال ابن جني:(أما إذا ضُمت النون فإن قوله " من أولياء" في موضع الحال ح أي ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخذ من دونك أولياء ودخلت "من " زائدة لمكان النفي ، كقولك: اتخذت زيدا وكيلا ن فإن نفيت قلت: ما اتخذت زيدا من وكيل ...)[٨٩]. فمعنى الآية الكريمة وفقا لقراءة الإمامين: لسنا ندّعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا[٩٠] .

وقد تابع ابن جني في توجيهه أبو علي الطبرسي[٩١]من المفسرين ، وابن مالك من النحويين فيما نقله ابن هشام[٩٢] ، واستحسنه من المشتغلين بالقراءات أحمد بن

---

[٨٦] . ينظر : إملاء ما من به الرحمن : ١٦١/٢ومغني اللبيب:٦١٦/١.

[٨٧] . معاني القرآن ، الفراء : ٢/ ٢٦٤ومغني اللبيب:٦١٦/١.

[٨٨] . معاني القرآن، الفراء : ٢/ ٢٦٤.

[٨٩] . والمحتسب:١٦٣/٢

[٩٠] . المصدر نفسه :١٦٣/٢

[٩١] . ينظر: مجمع البيان:٢٢٥/٧.

[٩٢] . ينظر : مغني اللبيب:٦١٧/١.

محمد البناء[٩٣] ، أما ابن هشام فقد رفض هذا التوجيه وعدّ المعنى فاسدا ، قال:(ويظهر لي فساده في المعنى ؛ لأنك إذا قلت: " ما كان لك أنْ تَتَّخذ زيدا في حالة كونه خاذلا لك " فأنت مثبت لخذلانه ناهٍ عن اتخاذه وعلى هذا فيلزم أن الملائكة اثبتوا لأنفسهم الولاية)[٩٤].

ويظهر أن الوجه الأول – المفعول الثاني– جائز ولا شذوذ في مجيئه مجرورا بـ(من) الزائدة ، وعدم شذوذها يتلخص في أن استقراءهم ناقص في رصد هذا الملمح النحوي من جهة ، ولا يوجد اتفاق بين النحويين على زيادتها بشروطها الثلاثة من جهة أخرى ، ويمكن أن نتبيّن ذلك من رصد التناقضات الآتية:

أولا: لم يقل الكوفيون بالشرط الأول –فيما نقله ابن هشام – فقد زيدت "من" في الإيجاب ، ولديهم شواهد فصيحة: قراءة قرآنية ، وحديث نبوي ، وشاهد شعري وشاهد نثري[٩٥].

ثانيا : لم يشترط الأخفش الشرطين: الأول والثاني ، ودليله القرآن الكريم[٩٦] ، في قوله تعالى:(**وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**)[٩٧]، وقوله تعالى:(**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ**)[٩٨] وشواهد قرآنية أخرى[٩٩] ، فقد زيدت "من" في الإيجاب ولم يُنكر مجروها ، ونقل ابن هشام عن الزمخشري زيادتها مع المعرفة[١٠٠] في قوله تعالى:(**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ**)[١٠١].

---

[٩٣] . –**ينظر: إتحاف فضلاء البشر:٣٢٨.**

[٩٤] . **ينظر: مغني اللبيب:٦١٧/١.**

[٩٥] . **المصدر نفسه:٦١٧/١–٦١٨.**

[٩٦] . **المصدر نفسه:٦١٧/١**

[٩٧] . **الأنعام:٣٤**

[٩٨] . **الاحقاف:٣١**

[٩٩] . **البقرة:٢١٧والكهف:٣١.**

[١٠٠] . **ينظر: مغني اللبيب:٦١٨/١.**

[١٠١] . **يس:٢٨.**

ثالثا : لم يبق من الشروط سوى الشرط الثالث وقد صرّح ابن هشام أن أكثرهم قد أهمل هذا الشرط ، فيلزمهم زيادتها في الخبر(ما زيد قائما) والتمييز(طاب زيد نفسا) والحال (ما جاء من أحد راكبا).

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن (من) زائدة مع الحال أو مع التمييز[١٠٢] في قوله تعالى:(**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ**)[١٠٣] ورد ابن هشام توجيه العكبري وعدّه تكليفاً .

رابعاً : يبدو لي أن قولنا:(رأيت الله اكبر من كلّ شيء) قول لا خلل فيه ولا يوجد مانع نحوي من نطقه بهذه الكيفية ، وقد جاء على سمة نطق الفصحاء مع أنّه ضربَ قياس زيادة "من" بالشروط الثلاثة عرض الحائط .

١. لا يوجد نفي أو شبهه.

٢. مجرورها مضاف .

٣. زيدت في ثالث مفعولات رأى القلبية .

أما إذا حاولت أن نتمسك بالقياس والشرط الثالث منه ، فيمكن أن تنضوي قراءة الإمامين:(أن نُتَّخذَ) تحت قياسهم بشرط أن ننظر إليها نظرة وصفية على هيأتها الجديدة بالبناء للمجهول وما يهدف إليه هذا البناء من معنى في حذف الفاعل ، فنقول: إنَّ نائب الفاعل تقديره "نحن" و "أولياء" في موضع نصب مفعول به ، ولا ننظر إلى ما كان عليه نائب الفاعل قبل البناء للمجهول ، وبذلك نرى أن القراءة قد التزمت بقياس زيادة "من" ولا سيما الشرط الثالث وقد نصبت مفعولا به ثالثاً.

وخلاصة المسألة أنَّه يمكن جعل قراءة الإمامين: الباقر والصادق شاهدا نحويا على زيادتها في المفعول الثاني بعد أن ثبت نقص استقرائهم أو جعلها زائدة في المفعول الواحد وفقا للنظرة الوصفية لتركيب جملة المبني للمجهول وعلى الرأيين وافقت العربية بأكثر من وجه.

---

[١٠٢] . **ينظر:إملاء ما من به الرحمن:٥٦/١.**

[١٠٣] . **ينظر: مغني اللبيب:٦١٧/١**

المبحث الثالث

الملامح الدلالية

ومنها:

١. (شغفها) و (شَعفها) .

٢. (يغنيه) و (يَعنيه) .

٣. (يَهوِي) و (يَهوَى)

(شغفها) و (شَعفها) .

قرأ أئمة البقيع: علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق لفظة " شغفها " في قوله تعالى:(**شَغَفَهَا حُبًّا**)[١٠٤] " شعفها " بالعين[١٠٥].

في البدء لا بدَّ من أن نتعرَّف الدلالة المعجمية للفظتين: شَغَفَ وشَعَفَ ؛ ليتسنى لنا معرفة الفرق اللغوي بينهما ومحاور التشابه .

الشغاف: غشاء القلب ، "وقد شغفها حبا" أي: غَشِي القلبَ حبُها ويقال: هو حبّة القلب وهي سويداؤه في صميمه ، وفلان مشغوف بفلانه ، أي ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب[١٠٦].

---

[١٠٤] . يوسف:

[١٠٥] . وهي قراءة الإمام علي بن أبي طالب والحسن وأبي رجاء ويحيى بن يعمر وقتادة وثابت البناني وعوف الأعرابي وابن أبي مريم و الأعرج ومجاهد وحميد والزهري وابن محيص ومحمد بن السميفع ، ينظر : المحتسب : ٢/٩-١٠ ومجمع البيان : ٥ / ٣٤٨- ٣٤٩ والإتحاف : ٢٦٤ .

أما الشّعف فرأس القلب عند معلق نياطه ، شعفني حبّه ، أي غشي الحب القلب من فوق ، والشَعَف : شدة الحب ، والشَعَف : شدة الفزع حتى يذهب بالقلب ، وشعفه الحب شفعا أحرق قلبه ، وقيل أمرضه[١٠٧] .

يتضح لنا بهذا العرض لدلالة اللفظتين معجميا أنهما يتفقان في محورين: **احدهما:** الموضع من القلب ، فالشغاف بالغين هو حبة القلب أو صميمه ، والشعاف بالعين رأس القلب عند معلق النياط ، فهما جزءان من القلب: رأسه ووسطه .

والآخر: إسناد الحب إلى الشغاف والشعاف ، وهما موضعان في القلب ، **فالأول:** فلان مشغوف بفلانة ، أي ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب ، **الثاني :** شعفه الحب احرق قلبه وذهب به كل مذهب.

أما الدلالة القرآنية فلم يخرج أصحاب كتب معاني القرآن ومفسروه في دلالة القراءتين عمّا ذكره اللغويون من أن شغفها حبا قد خرق شغاف قلبها ، وشعفها أي وصل حبّه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته[١٠٨] .

وأصل الشعف بالعين من البعير يهنا بالقطران* ، فتصل حرارة ذلك إلى قلبه ، وانشدوا لتوثيق المعنى بقول امرئ القيس[١٠٩]:

أيقتلني وقد شعفت فؤادها

كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

فشبهت لوعة الحب وجواه بذلك[١١٠].

---

١٠٦ . ينظر : ترتيب كتاب العين : ٩٢٤/٢ ومجمع البحرين ومطلع النيرين : فخر الدين الطريحي :٥٢١/٣

١٠٧. ينظر : المصدر نفسه : ٢/ ٩٢٦ والمصدر نفسه : ٥٢٠

١٠٨ . ينظر : معاني القران ، الفراء : ٤٢/٢ والمحتسب : ١٠/٢ .

***هنا الإبل طلاها بالهناء ، وهو القطران ، كان البعير اذا أصيب بالجرب يحرق بالقطران فيجد له لذة مع حرقة ، ينظر: هامش الكشاف : ٤٣٦/٢ .**

١٠٩ . ينظر: معاني القرآن ، النحاس: ٥٤٠/١.

١١٠ . ينظر: معاني القرآن ، النحاس: ٥٤٠/١.

يتضح لنا من عرض آراء اللغويين في دلالة اللفظتين اللغوية وآراء المفسرين في دلالتهما القرآنية أنَّ الشغف والشعف يجمعهما إطار واحد وهو القلب سواء أكانا جزأين منه ام بإسناد لفظة(الحب) إليه بغض النظر إن كان رأس القلب أو حبته وسويداءه.

والظاهر أن اللغويين والمفسرين يلمسون فرقا بين الشغاف والشعاف مع اتفاقهما في المعنى العام ، والفرق أنَّ الشعف بالعين أقوى وأشد في التعبير عن العشق والهوى من الشغف بالغين ، ويتضح ذلك مّما رصدناه من أقوالهم على النحو الآتي :

١.ما نقله بعض المفسرين من أن الشغف حب والشعف جنون[١١١] ، أي حب إلى حد الجنون .

٢- ما ذكره اللغويون في التعبير عن دلالة شعف بالعين منها :

أ – الشعف ، شدة الحب .

ب – الشعف ، اشد الفزع .

جـ – شعفه ، أمرضه .

وهذه المعاني لم تُذكر مع الشغف بالغين .

فخلاصة القول: إنْ كان لي رأي فيه ، فقراءة أئمة البقيع الثلاثة –عليهم السلام – قراءة مقبولة وراجحة من وجهة نظر لغوية ، لما ظهر من أن (شعف) بالعين لفظة فصيحة جاءت على سمة لغة العرب واتسقت في النص القرآني الوارد فيه ، بل يبدو من معناها أنها انسب في السياق من شغف بالغين ، ولعل المقام يؤكد ذلك ، فقصة امرأة العزيز وحبها الكبير لنبي الله يوسف عليه السلام معروفة ، فقد وُظفت اللفظة توظيفا رائعا في التعبير عما تشعر به من عشق إلى حد الجنون والفزع ، والمرض وإحراق القلب ، هذه المعاني كلها ظهرت في الفرق بينهما وبين شغف بالغين – والله اعلم بكلامه – .

---

[١١١] . ينظر: معاني القران ، النحاس: ٥٤٠/١ والبحر والمحيط : ٣٠/٥ وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ابو سعيد الشيرازي البيضاوي ٢٨٤/٣ .

(يغنيه) و (يَعنيه) .

قرأ الإمام الحسن بن علي . عليهما السلام . لفظة "يُغنيه" في قوله تعالى :(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[١١٢] " شأن يعنيه " بالعين [١١٣].

يبدو لي أن نتصفح المعجم العربي أولا ، لنتعرّف ما ثبته لنا من معان دلالية للفظتين: "عَني وغَني" ، ومن ثمَّ نتحرى كتب المفسرين في استقصاء دلالتهما السياقية وفقا للقراءتين.

---

[١١٢] . عبس:٣٧.

[١١٣] . وهي قراءة الترمذي والزهري وابن السميفع وابن محيصن ، ينظر٢ مختصر شواذ القراءات :١٦٩ و المحتسب:٤١٧/٢ ومجمع البيان:٦٦٦/١٠.

فعناني الأمر يعنيني عناية فأنا معني به ، ويقال: " عنيت بحاجتك فانا عانٍ " أي اهتممت بها واشتغلت ، وفي الدعاء "ومن يعنيني أمره " أي ومن يهمني أمره[١١٤].

أما لفظة غني فالغَناء ، الاستغناء والكفاية و" أوشك الله له بالغَناء " يريد به الكفاية ، وما يغني عنك هذا ، أي ما يجزى عنك وما ينفعك[١١٥].

أما دلالتهما القرآنية فلم تخرج عن الدلالة المعجمية ، ولم يضف السياق عليها شيئا جديدا ولاسيما قراءة (يعنيه) محور البحث .

فمعنى قوله:(**شَأْنٌ يُغْنِيهِ**) ، أي يشغله عن قرابته كما يرى الفراء[١١٦] ، ويكيفه في الاهتمام به على حد تفسير الزمخشري[١١٧] ومن تابعه[١١٨].

أما قراءة الإمام الحسن " يعنيه " فمعناها "يهمه" [١١٩] ، وقد عدّها ابن جني قراءة حسنة إلا أنّه رجح قراءة المصحف (يُغنيه) وحجته في ذلك أن بينهما عموما وخصوصا ، وذلك أن الإنسان قد يعنيه الشيء ولا يغنيه عن غيره ، وضرب لذلك مثلا من أنه لو كان لهذا الإنسان ألف درهم فيؤخذ منها مائة درهم ، فيعنيه أمرها ، ولكنه لا يغنيه عن بقية ماله أن يهتم به فإن أغناه فذلك أقوى المطلبين[١٢٠].

يظهر أن ما رآه ابن جني رأيا وجيها يستحق الاحترام إلا أن قراءة (يعنيه) بالعين تبقى متسقة في النص وتفي بالمعنى المراد في تصوير استغناء العبد يوم القيامة عن أقرب المقربين إليه ويبدو أن شعور ابن جني باتساق اللفظة القرآنية في

---

[١١٤] ينظر:ترتيب كتاب العين: 2/1301:ومجمع البحرين3/2:

[١١٥] .المصدران نفسهما.

[١١٦] .ينظر: معاني القرآن:٣/٢٣٨.

[١١٧] ينظر: الكشاف:٤/٧٠٦.

[١١٨] . :ينظر:مجمع البحرين:١٠/٦٦٨.

[١١٩] . ينظر : الكشاف : ٤ / ٧٠٦ .

[١٢٠] .ينظر: المحتسب : ٢/٤١٧.

التعبير عن المقام دفعه إلى أن يصفها بالقراءة الحسنة ، فضلا عن أن اللغويين ذكروا لدلالة (يعنيه) بالعين معنى (اشتغل واهتم) وهذا المعنى ذكره المفسرون لدلالة (يغنيه) بالغين ، فنرى تداخلا بين المعنيين مما يدل دلالة قاطعة على قبول قراءة الإمام الحسن ومن تابعه من وجهة نظر لغوية.

(يَهوِي) و (يَهوَى)

قرأ الإمامان: محمد الباقر وجعفر الصادق – عليهما السلام – لفظة " تَهْوي" في قوله تعالى:(**فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**)[١٢١] " تَهْوَى اليهم" بفتح الواو [١٢٢]

ذكروا لدلالة قراءة الإمامين الصادقين ثلاثة آراء:

---

[١٢١] .إبراهيم :٣٧.

[١٢٢] ينظر: المحتسب : ٢ / ٣٨ وهي قراءة الإمام علي وزيد بن علي بن الحسين ومجاهد ينظر: : مجمع البيان : ٥ / ٤٧٨ وقرأ مَسلمة بن عبد الله (تُهوى إليهم) بضم التاء وفتح الواو ، ينظر : المحتسب : ٢/ ٣٩ والبحر المحيط : ٥/ ٤٣٣ .

الرأي الأول: أن " إلى" زائدة للتوكيد وأن معنى "تهوى إليهم " تهواهم وهذا الرأي نسبه ابن هشام إلى الفراء[١٢٣] ، وهي نسبة صحيحة ، قال الفراء: (وقراءة بعض القرّاء" تهوى إليهم " بنصب الواو بمعنى تهواهم)[١٢٤].

حجة الفراء على زيادتها نظير قرآني في قوله تعالى:(رَدِفَ لَكُمْ)[١٢٥] ، أي ردفكم ونظير نثري من كلام العرب في قولهم " نقدت لها مائة " أي نقدتها[١٢٦].

الرأي الثاني: هو تضمين "تهوى" معنى "تميل" ،قال ابن جني:(فقراءة علي عليه السلام " تهوى إليهم" بفتح الواو وهو من هويتُ الشيء إذا أحببته إلا أنَّه قال " إليهم " وأنت لا تقول هَوِيتُ إلى فلان ، لكنك تقول هويت فلانا ؛ لأنه عليه السلام حمله على المعنى إلا ترى إن معنى هويت الشيء ملت إليه)[١٢٧].

وحجتهم في ذلك النظائر القرآنية والمتمثلة بقوله تعالى:(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)[١٢٨] ، فعدى الرفث بالى وأنت لا تقول: رفث إلى فلانة وإنما تقول : رفثت بها أو معها ، ولما اتفق معنى الرفث معنى الإفضاء عُدي الرفث بالى كما يتعدى الإفضاء[١٢٩] ، وقيل ضمن معنى النزوع والإسراع[١٣٠] وقيل معنى تحن إليهم أو تنزل وتهبط إليهم ؛ لأنَّ مكة في غور[١٣١].

---

[١٢٣] . ينظر : مغني اللبيب : ١/ ١٥٨

[١٢٤] . معاني القران : ٢/ ٧٨ .

[١٢٥] . النحل / ٧٢

[١٢٦] . ينظر : معاني القران : ٢/ ٧٨

[١٢٧] . المحتسب : ٢/ ٣٩ .

[١٢٨] . البقرة : ١٨٧ .

[١٢٩] . ينظر : المحتسب : ٢ / ٣٩

[١٣٠] . ينظر: البحر المحيط:٥/٤٣٣.

[١٣١] . ينظر: مجمع البحرين:٤/٤٤٦.

ولعل تعدي الفعل هَوِي يهوى بنفسه كما اتضح من قول ابن جني المتقدم يقوي رأي الفراء في زيادة (إلى) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المفسرين اختلفوا في تعدي الفعلين على وفق القراءتين (يَهوِي من هوى) و (يَهْوَى من هَوي) ، قال أبو حيان في قراءة المصحف : (ولما ضمن معنى تميل عداه بالى واصله أن يتعدى باللام)[١٣٢].

أما العكبري فيرى أن(هَوِي يتعدى بنفسه وهَوى يتعدى بالى إلا أن القراءة الثانية عديت بالى حملا على تميل)[١٣٣].

والحقيقة أنَّ الفعل(هوى ومشتقاته) في القرآن الكريم لم يتعد باستعمالاته كلها إلا مرة واحدة بـ (إلى) وهي الآية التي يدور فيها البحث ، ومرة واحدة بالباء في قوله تعالى : **(تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ)** [١٣٤].

ولم ينقل من عداه بـ (إلى) في غير هذا الموضع المحمول على التضمين ولم ينقل من عداه باللام ، وقد استحسن الأستاذ عباس حسن رأي التضمين ،ويرى انه دفع رأي الفراء الذي عدّ " إلى" زائدة من غير ضرورة وفقا لقراءة الإمامين ومن تابعهم[١٣٥].

الرأي الثالث : فسّر القراءة على أنها لهجة ، نسبة ابن هشام إلى ابن مالك ومن ثم رفضه ، قال:(الأصل تَهوِي بالكسر فقلبت الكسرة فتحة والياء ألفا كما يقال في" رَضِي" رَضَا وفي ناصية "ناصاة " قاله ابن مالك وفيه نظر ؛ لأنَّ شرط هذه اللغة تحرّك الياء في الأصل)[١٣٦] .

وفي خلاصة القراءة وتوجيهها أرى أنَّ قراءة الإمامين الصادقين ومن قبلهما قراءة الإمام علي ابن أبي طالب ، وزيد بن علي بن الحسين ومن تابعهم عليها

---

[١٣٢] . **البحر المحيط:٥/٤٣٣.**

[١٣٣] . **املاء ما منَّ به الرحمن : ٢/ ٦٩**

[١٣٤] . **الحج : ٣١.**

[١٣٥] . **ينظر : النحو الوافي : ٢/ ٤٧١.**

[١٣٦] . **مغني اللبيب : ١/ ١٥٨ – ١٥٩ .**

موافقة للعربية ، وقد تناولها اللغويون والمفسرون بالتوجيه على آراء مختلفة أيهما أصاب يحقق موافقة العربية .

النتائج

١. قراءات أئمة البقيع –عليهم السلام – عدّها علماء القراءات والمشتغلون بها قراءات شاذة .

٢ . لم يَرد عن أئمة البقيع ردعا أو زجرا للقرّاء والقراءات ، بل أقروها ؛ لأنها ثابتة في زمنهم وبعده .

٣. ظهر أن قراءات أئمة البقيع التي وقع عليها اختيار البحث قد وافقت العربية بوجه أو أكثر وعلى النحو الآتي :

أ – وفقت القواعد الصرفية وقد تبيّن ذلك جليا في توجيه قراءة الإمام الحسن (لمَفِرّ)

بوجهين وقد عضّد السياق القرآني الوجه الثاني ورأى أنَّه انسب في المعنى ، والقول نفسه مع قراءة الإمام السجاد (مَبصَرة) وقد تبيّن انه وزن مستعمل لإرادة معنى معين وكان للسياق أثره في ترجيح قراءة الإمام الصادق(آتينا) فقد ظهر وجهها واستحسنها الفراء .

ب – وافقت قراءاتهم القواعد النحوية وقد ظهر ذلك من قراءة (لا مستقرَّ) بالنفي لثلاثة من أئمة البقيع وقد استحسنها بعض النحويين والمفسرين ، أما قراءة الصادقينِ(من كلٍّ) فقد عدّها النحاس وجها جائزا ، ولم يرفضها الفراء ، وكذلك القراءة الأخيرة لهما أيضا .

ت – وافقت قراءاتهم سمة لغة العرب في دلالاتهم اللغوية ، وقد تجلى ذلك في قراءة (شعفها حبا) بالعين لثلاثة من أئمة البقيع ، وظهر أن معنى الشعف انسب وأقوى في السياق القرآني الذي اقتضاه المقام في الفرق اللغوي بين الشعف والشغف ، والقول عينه يقال مع قراءة الإمام الحسن (شأن يعنيه) التي استحسنها ابن جني ووجهها غيره بأوجه مقبولة ولا تكلف فيها .